

الوافي في الوفيات

رأيت جفون الريح والليل إثمدا ... يقلب من جمر الجذاء أعينا رمدا .
قال ابن خفاجة : ذهبت يوماً أريد باب السمارين بشاطبة ابتغاء للفرجة على جرية ذلك
الماء بتلك الساقية وإذا الفقيه أبو عمران ابن أبي تليد C قد سبقني إلى ذلك فألفيته
جالساً على مصطبة كانت هناك مبنية لهذا الشأن فسلمت عليه فأنشد أثناء ما تناشدناه قول
ابن رشيق C تعالى : .

يا من يمر ولا تم ... ربه القلوب من الحرق .
بعمامة من خده ... أو خده منها سرق .
فكأنه وكأنها ... قمر تعمم بالشفق .
فإذا بدا وإذا مشى ... وإذا رنا وإذا نطق .
شغل الجوارح ولاجوا ... نح والخواطر والحدق .
واستحسنها فقلت : أخل لأن النطق لا يشغل الحدق ونظمت قولي : .
ومهفهف طاوي الحشا ... خنت المعاطف والنظر .
ملأ العيون بصورة ... تليت محاسنها سور .
فإذا رنا وإذا شدا ... وإذا سعى وإذا سفر .
فضح المدامة والحما ... مة والغمامة والقمر .
وقال ابن خفاجة أيضاً : .

وعشي أنس أضجعتني نشوة ... فيه تمهد مضجعي وتدمث .
خلعت علي بها الأراكة ظلها ... والغصن يصغي والحمام يحدث .
والشمس تجنح للغروب مريضة ... والرعد يرقى والغمامة تنفت .
وقال يهجو سوداء : .

وسويداء قسم القبح فيها ... بين وجه جهم وجسم قضيف .
أقبلت في معصفر سحبه ... وهي متفال وهو غير نظيف .
فتأملت منه نطفة حيض ... غرقت فيه خنفساء كنيف .
وقال في فرس أشقر : .

وأشقر تضرم منه الوغى ... بشعلة من شعل الباس .
من جلنار ناضر لونه ... وأذنه من ورق الآس .
يطلع للغرة في وجهه ... حباةً تضحك في الكاس .

وقال في أحذب أسود يسقي : .

وكأس أنس قد جلتها المنى ... فباتت النفس بها معرسة .

طاف بها أسود محدودب ... يطرب من لهو به مجلسه .

فخلته من سبج ربوةً ... قد أنبتت من ذهب نرجسه .

وقال في غلام مليح بين يديه نارنج : .

ويوم تقضى بين كاس ومسمع ... يحض إليها أو تهز إليه .

تطلع بدر التم في وسط دسته ... فخرت نجوم الأفق بين يديه .

وقال : .

□ نورية المحيا ... تحمل نارية الحميا .

والدوح لدن المهز رطب ... قد رف ريا وطاب ريا .

تجسم النور فيه نورا ... فكل غصن به ثريا .

وقال في أسود يسبح : .

وأسود عن لنا سابع ... في لجة تطفح بيضاء .

وإنما لاح بها ناظر ... في مقلة تنظر زرقاء .

وقال : .

والليل قد ولى يقرض برده ... كداً ويسحب ذيله في المغرب .

وكأنما نجم الثريا سحرة ... كف تمسح عن معاطف أشهب .

وقال يصف البرد : .

والأرض تضحك عن قلائد أنجم ... نثرت بها والجو جهم قاطب .

وكأنما زنت البسيطة تحته ... وأكب يرحمها الغمام الحاصب .

وقال يصف شجرة متهدلة : .

ولدته المعطفين ناعمة ... تمسح ريح الصبا جوانبها .

كأنها والرياح تعطفها ... راقصة أسلت ذوائبها .

وقال : .

ومجاجة لزجاجة عاطيتها ... فرميت شيطان الأسي بشهاب .

وكأنما كرة البسيطة بيضة ... والليل يلحفها جناح غراب .

وقال يذم خطا ردياً : .

قواف أتتني عنك تحكيك خسة ... فلو كن أعضاء لكن مخارجا .

معوجة أسطارها وحروفها ... كأن بها من برد لفظك فالجا .

وكان يوماً في مجلس عند بعض إخوانه وفيه عنب ورمان وبينهم فتى يتهم بحالة فضل العنب

على الرمان فقال ابن خفاجة : .

صلني لك الخير برمانةٍ ... لم تنتقل عن كرم العهد .

لا عنب أمتص عنقوده ... ثدياً كأنني بعد في المهد .

وهل يرى بينهما نسبة ... من عدل الخصية بالنهد .

فأجل الفتى وصحت التهمة وقال في اقتران الثريا بالهلال :